## خلاصة نظرية المقاصد

(مستل من رسالة الدكتوراه: تعارض دلالة اللفظ والقصد في أصول الفقه والقواعد الفقهية)

د. خالد بن عبد العزيز بن سليمان آل سليمان

http://faculty.kfupm.edu.sa/ias/khaledan

البريد الإلكتروني: k44haled@hotmail.com

## خلاصة نظرية المقاصد(1)

المقاصد الشرعية هي: الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها.

وفن المقاصد ينطلق من كون الأحكام الشرعية معللة بتحقيق مصالح العباد في الدارين، وما دراسة المقاصد إلا لمعرفة هذه العلل والحِكم.

فهو يعنى بتتبع هذه المقاصد وبيان طرق فهمها وتحريرها وترتيبها عند التعارض والتنسيق بينها...؟ بدءًا بالمقصد الرئيس، إلى المقاصد والحِكم الجزئية من كل حكم معين؛ وبيان ذلك على النحو الآتي:

المقصد الرئيس الذي تنطلق منه جميع التكاليف الشرعية هو تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، أي تحقيق سعادتهم الحقيقية العاجلة والآجلة؛ قال تعالى:  $\{S \times S\}$  گ گ  $\{S \times S\}$ .

وهذا المقصد الرئيس يتشعب إلى خمسة مقاصد كلية، تعرف بالكليات الخمس، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال.

وكل ما يوصل إلى هذه الكليات الخمسة بطريق مشروع فهو مصلحة مقصودة شرعًا، وهذه المصالح على ثلاث درجات حسب أهميتها:

- 1. المصالح الضرورية وهي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا وبقدر فقدها تفوت هذه المصالح، بحيث يخشى فوت الحياة في الدنيا أو فوت النجاة في الآخرة أو فواتهما معا.
- 2. المصالح الحاجية وهي التي يفتقر المكلفون إليها افتقارا ملحا؛ بحيث يترتب على تفويتها دخول المشقة والحرج عليهم، ولكنه لا يخشى منه فوات الحياة في الدنيا أو فوات النجاة في الآخرة.

<sup>(1)</sup> وهي مستفادة مما علق في الذهن من تصور لهذه النظرية من خلال دراسة علم المقاصد والقراءة في مصادره، ولاسيما قراءة كتابي: الموافقات للشاطبي، ونظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لـ أ. د. أحمد الريسوني؛ اللذين أعدهما أو في كتابين استفدت منهما في دراسة المقاصد.

<sup>(2)</sup> الآية رقم (107) من سورة الأنبياء.

3. المصالح التحسينية وهي ما يحسن تحصيلها أو تجنبها، ولكن لا يترتب على تفويتها مشقة وحرج . ويجمع ذلك محاسن العادات ومكارم الأخلاق والآداب.

وإذا كان تحقيق مصالح العباد في الدارين يمثل المقصد الرئيس لتشريع الأحكام فإن هناك مقصدا آخر يسبقه ويهيمن عليه ويحكم الوفاق بين مصالح الدنيا والآخرة، وهو يمثل المقصد من خلق العباد، ألا وهو تحقيق العبودية لله تعالى ؟ قال جل وعلا:  $\{ \begin{subarray}{c} \begin{subarr$ 

ولتحقيق هذين المقصدين عمليًّا راعى الشارع في أحكامه أن تكون عقولُ العباد قادرة على فهمها، وجوارحُهُمْ قادرة على تطبيقها؛ قال تعالى: {و و و و و و و و و و و و و و العباد قادرة على المسارع فهمها، وجوارحُهُمْ قادرة على تطبيقها؛ قال تعالى:

وإذا علمنا أن الله تعالى قصد بأحكامه ابتداء تحقيق مصالحنا، وراعى في هذه الأحكام أن تكون عقولنا قادرة على فهمها، وجوارحنا قادرة على تطبيقها، وأمرنا بالالتزام بها عبودية لله تعالى؛ فخلاصة علم المقاصد تتمثل في المعادلة الآتية:

السعادة الحقيقية العاجلة والآجلة = عبودية الله تعالى.

وكلما تحرد الإنسان من اتباع الهوى، كان أقدر على تمام العبودية؛ لهذا قصد الشارع من أحكامه: إخراج المكلف من داعية هواه؛ ليكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد له اضطرارًا .

بمعنى: أن الإنسان يدين لله تعالى بالعبودية التامة في تصرفاته الاضطرارية، فليتجرد من هواه وليكن كذلك في تصرفاته الاختيارية.

♦ فكيف تفهم أن جميع الأحكام الشرعية وضعت لمصالحك؟.

<sup>(3)</sup> الآية رقم (56) من سورة الذاريات.

<sup>(4)</sup> من الآية رقم (286) من سورة البقرة.

<sup>(5)</sup> الآية رقم (97) من سورة النحل.

<sup>(6)</sup> من الأية رقم (71) من سورة المؤمنين.

- ◄ وكيف تصل إلى قناعة عملية ويقينية: بأنه على قدر تحقيقك للعبودية تكون سعادتك؟.
- → وكيف تحرص على أن يكون قصدك من فعل التكليف موافقة قصد الشارع؛ فتتحقق الطاعة على أكمل الوجوه؟.
- ♦ وكيف تنطلق جميع تصرفاتك وتتشعب جميع أهدافك من هذا الهدف؟ مصداقًا للآية الكريمة: {
  افت افت ك ك و و ق ق ق ق ق ق إ (7).

  - ♦ وكيف تتسلح في دعوتك إلى الله بفهم محاسن الشريعة ومكارمها؟.
- ◄ وإذا كنت من أهل الاجتهاد؛ فكيف تستثمر مقاصد الشريعة، بحيث تكون كالميزان الذي توزن
  به عملية الاجتهاد برمتها؟.

هذه هي نظرية المقاصد، والجواب عن هذه الأسئلة هو أهم فوائدها، هذا والله أعلم.

~ ~ ~

<sup>(7)</sup> الآية رقم (162) من سورة الأنعام.